أثر إقتحام الشرطة لأحد المنازل

وقائع ما جرى في قرية «دير جبل الطير» في سبتمبر الماضي

تقع قرية دير جبل الطير الشهيرة بـ "دير العدرا"، شرق مدينة سمالوط بمحافظة المنيا، ويقطنها نحو عشرة آلاف نسمة، جميعهم من المسيحيين، فيما عدا ما يقل عن مائة مواطن آخرين. وتعرف القرية كمزار ديني مسيحي، فقد استضافت العائلة المقدسة في أثناء هروبها إلى مصر. يعمل أغلبية أهالي القرية، كغالبية سكان قرى شرق النيل بالمحاجر والتجارة، وهو ما ساعد على وجود تشابك علاقات العمل والتجارة بين سكان دير جبل الطير وعدد من القرى المجاورة ذات الأغلبية السكانية المسلمة، وهو التداخل الذي يسهم أحيانًا في تهدئة أجواء التوتر الطائفي، أو في تصاعده. ويشهد مركز سمالوط أحداث توتر وعنف طائفي من وقت لآخر، وكان آخرها في أغسطس الماضي حيث شهد واقعتين، الأولى بقرية نزلة يعقوب البحرية، فقد وقعت مناوشات بين مسلمي ومسيحيي القرية على خلفية استكمال بناء كنيسة تحت الإنشاء وهى كنيسة مار جرجس، وقامت قوات الأمن بوقف البناء.والحادثة الثانية كانت عندما قامت قوات شرطة سمالوط بمنع الصلاة في كنيسة الأنبا كاراس والبابا كيرلس، التي كانت تقام فيها الصلوات الدينية بحجة عدم وجود ترخيص رسمي بالكنيسة.

وشهدت قرية دير جبل الطير حادثة واحدة، لها بعد طائفي في سنة 2009، تطورت إلى اشتباكات مع أهالٍ من سكان قرية العابد التي تقع جنوبها، حيث اشترى بعض أهالي دير جبل الطير قطعة أرض من المحافظة لاستخدامها كمدافن، وأقاموا حولها سورًا، فتعدى عليه بعض مواطني قرية العابد، ووقعت اشتباكات متبادلة، واحتجزت أجهزة الأمن أعدادًا من الطرفين، أطلق سراحهم فيما بعد.

وفي 3 من سبتمبر 2014، اختفت سيدة مسيحية الديانة تدعى إيمان مرقص صاروفيم، وحرر زوجها سامح عريان محضرًا بقسم شرطة سمالوط رقم "6427 إداري سمالوط"، متهمًا شخصًا مسلمًا من قرية بني خالد المجاورة يدعي سامي أحمد عبد الرحمن الشهير بحمادة الجلفي بالتسبب في اختفائها. وفي اليوم التالي حضر مدير مباحث المركز وأخبر سامح عريان بأن زوجته قررت مغادرة المنزل بإرادتها مع الشخص المتهم في البلاغ بأنه ساعدها على الاختفاء، وأنه غير معروف ما إذا كانت غيرت ديانتها للإسلام من عدمه.

وأكد الزوج سامح عريان في شهادته لباحث المبادرة، أن رواية بعض القيادات الأمنية بشأن هروب زوجته إيمان بإرادتها لكي تعتنق الإسلام غير صحيحة. وقال: "زوجتي خرجت الساعة 3 العصر بالشبشب، كانت رايحة بيت أبوها ومرجعتش. بعد كده عرفنا إن حمادة الجلفي خطفها في عربية ملاكي كحلي. وأنا تلقيت مكالمة تليفونية من أخوه بعد ساعتين من خطفها، قال إن أخوه هو من خطف المدام".

وأجمعت الشهادات التي حصلت عليها المبادرة المصرية أن شراكة تجارية جمعت الزوج والشخص المتهم بخطف السيدة، وأنهما كانا يتبادلان الزيارات العائلية، وأن أفراد العائلة حذروا الزوج من هذا المستوى من التداخل في العلاقات، وقد حملوه مسئولية اختفاء زوجته.

وانتشرت قصة اختفاء هذه السيدة في القرى المجاورة، مما أضفى تأثيرًا سلبيًّا على العلاقات بين أهالي قرية دير جبل الطير والقرى المجاورة، خصوصًا في ظل الموروث الثقافي في الريف المصري الذي يعتبر

تهشيم زجاج سيارة مملوكة لقبطي

خروج سيدة متزوجة مع شخص آخر وصمة عار اجتماعية، إضافة إلى الحساسية التي تصاحب موضوع تغيير الدين بشكل عام وفي الريف على وجه الخصوص، لاسيما أن شقيق زوج السيدة المسيحية المختفية هو القس يؤانس عريان أحد كهنة مركز سمالوط، وقد تعرض بعض أهالي القرية لمضايقات لفظية وتهكم من بعض أهالي القرى المجاورة لها، وترديد كلمات من شأنها السخرية منهم، مثل:

" حمادة يلعب الدير بيولع، اتفضل يا حمادة، آه يا بلد مفهاش راجل".

وفي مساء الأحد 7 من سبتمبر، تظاهر عشرات من الأهالي الأقباط أمام نقطة شرطة القرية مطالبين باستدعاء القيادات الأمنية للضغط عليها للبحث عن السيدة وإرجاعها لأسرتها، وقد حضر مدير المباحث الجنائية بالمنيا ومسئول ملف الأمن الوطني ومأمور المركز وعدد من القيادات الأمنية بالمحافظة والمركز، ووعدوا الأهالي بالتحرك والعمل على عودة الزوجة خلال أيام، كما قام بعض أهالي القرية بمقابلة محافظ المنيا اللواء صلاح زيادة ومدير الأمن اللواء أسامة متولي اللذين وعدا بعودة الزوجة خلال يومين، طبقًا للشهادات المتواترة من أهالي القرية.

وقال مختار يونان أحد أفراد عائلة الزوج في شهادته لباحث المبادرة:

" رحنا إلى مدير الأمن، وعملنا وقفة احتجاجية، طلبنا مدير الأمن، جاء هشام نصر مدير المباحث الجنائية بالمحافظة، وقيادات كتير ووعدوا إنهم هيرجعوها خلال أيام وكمان قابلنا المحافظ ووعدوا إن الموضوع هيخلص خلال يومين".

وفي يوم 15 من سبتمبر، قام أبناء السيدة المختفية بحشد شباب القرية للتظاهر مجددًا أمام نقطة الشرطة، حيث اتهموا أجهزة الأمن بالتقصير، وأن التلكؤ في إعادتها لأسرتها من شأنه إعطاء مزيد من الوقت لمن وصفوه بالخاطف ومساعديه على إنهاء إجراءات تحولها للإسلام. وتجمع عدة مئات عصر هذا اليوم، قدرهم أهالي القرية بأنهم يزيدون عن الثماني مائة شخص، وردد المشاركون هتافات تندد بتقاعس الداخلية عن إرجاع السيدة، وتطالب بعودتها.

اتصل رئيس نقطة الشرطة بقرية دير جبل الطير برؤسائه في قسم شرطة سمالوط للإخطار واستقبال التعليمات من قياداته وفقًا لشهادة أحد ضباط الشرطة، وفي نحو العاشرة جاءت سيارتان للشرطة (بوكس)، وكان في أحدهما مأمور مركز سمالوط، وبمجرد اقتراب السيارة من محيط نقطة الشرطة، اقترب منها بعض الشباب للحديث مع المأمور، وهو ما أثار مخاوفه خشية تعرضه للاعتداء خصوصًا أن أعداد المتظاهرين التي تجرى نحو سيارته كبيرة، فتراجعت السيارة التي يستقلها المأمور إلى الخلف لمغادرة المكان، وأطلق أحد أفراد الأمن أعيرة نارية في الهواء، وهو ما فاقم من غضب المتظاهرين.

وأفاد أحد أهالي القرية لباحث المبادرة:

" المشكلة إن 800 شخص تظاهروا أمام نقطة شرطة جبل الطير، معظمهم شباب، واتصل أمن النقطة بقيادات مركز شرطة سمالوط وطلبوهم. جاء المأمور، وعندما تجمع الشباب حول العربية عشان يكلمه، رجع وقام الغفر بضرب النار في الهوا، ورد من ناحية النقطة أمين شرطة من قرية بني خالد إللى منها الخاطف، بِضرب نار، العيال غضبوا ورموا القوة الموجودة بالطوب، وكسروا زجاج سيارة شرطة وعربة مطافي".

وتختلف رواية الأهالي الذين التقاهم باحث المبادرة عن رواية أجهزة الأمن في تطور الأحداث في الدقائق التالية لهذه الواقعة، فالشهادات التي تواترت من الأهالي تؤكد أن أمين شرطة، من قرية بني خالد المجاورة، التي ينتمي إليها الشخص المتهم بالخطف أطلق أعيرة نارية في الهواء من الجانب الآخر، فرد المتظاهرون برشق سيارة المأمور ونقطة الشرطة بالطوب والحجارة مما أدى إلى تهشم زجاج بعض النوافذ وسيارة شرطة بوكس وسيارة للدفاع المدني. أما رواية الأجهزة الأمنية المنشورة في بيان رسمي صادر عن مديرية الأمن ووفقًا لحديث دار بين باحث المبادرة وأحد الضباط المعينين للخدمة بالقرية فتفيد بأن بعض الأهالي قاموا بإطلاق الأعيرة النارية في الهواء ورشقوا نقطة الشرطة وقوات الأمن بالحجارة مما أدى إلى تكسير سيارتين وإصابة 3 أفراد أمن، لم تحدد الأجهزة الأمنية أسماءهم أو نوع إصابتهم أو المكان الذي تلقوا العلاج فيه وهو ما ينفيه الأهالي.

وصرح مدير أمن المنيا اللواء أسامة متولي في اتصال تليفوني مع برنامج العاشرة مساء، الذي يذاع على قناة " دريم " يوم الخميس الموافق 18 من سبتمبر بأن: " اختفاء هذه السيدة معلوم لدى الكافة، فليس هناك شبهة جنائية، ولا يوجد إجبار لها، والدليل على ذلك أنهم يقولوا، إن خطفها معلوم للزوج، وبالرغم من هذا نبذل جهودًا مضنية للبحث عنها، وليس مديرية أمن المنيا، لكن كافة جهات

تهشيم نوافذ زجاجية لمنزل أحد الأقباط

الوزارة تبحث إعادة السيدة في أقرب فرصة ممكنة". وأضاف مدير الأمن أن: "ما حدث كان تجمع أكثر من 400 شخص أمام نقطة شرطة، وعندما حضرت قوات المركز قاموا بالتعدي عليها، وأصابوا 3 أفراد شرطة وسيارة شرطة ومطافي، وتم السيطرة عليها في الشارع، ثم قبض على من اشترك في الأحداث".

فض المتظاهرون تجمهرهم من أمام نقطة الشرطة بعدما غادر مأمور قسم سمالوط القرية، وفي منتصف الليل جاءت حملة أمنية إلى القرية، وقامت بمهاجمة عدد كبير من المنازل بالقرية، وتحطيم محتوياتها والاعتداء على أصحابها بالضرب المفرط، والمعاملة المهينة، والقبض على عشرات منهم واحتجازهم في نقطة الشرطة، ثم قسم مركز سمالوط قبل إحالة 12 شخصًا للنيابة العامة والإفراج عن باقي المقبوض عليهم.

وأوفدت المبادرة المصرية باحثًا لتقصي الحقائق بالقرية في يوم 22 من سبتمبر، وحصل على شهادات مختلفة حول انتهاكات الشرطة في نفس اليوم 22 من سبتمبر. وأفادت الشهادات المتواترة أن ما يزيد عن خمسين سيارة ناقلة للجنود بالإضافة إلى عدد من مدرعات الشرطة جاءت منتصف ليل الثلاثاء 16 من سبتمبر، وتحركت قوات الأمن في مجموعات تجوب القرية وتقتحم المنازل، ووفقًا لضابط شارك في الحملة التقاه باحث المبادرة، فإن مباحث سمالوط أعدت تحريات بأسماء المطلوبين لتحريضهم أو مشاركتهم في المظاهرات. بينما أكد أهالي عدد من الأهالي أن الحملة الأمنية داهمت ما يزيد عن 30 منزلاً، وأن عددًا منها لم يشارك أصحابها في المظاهرات أمام نقطة الشرطة ولا ينتمون بصلة قرابة إلى السيدة المختفية.

تحطيم أجهزة كهربائية بأحد المنازل

اقتحمت كل مجموعة أمنية عددًا من المنازل وحطمت محتوياتها من أثاث وأجهزة تلفزيونية وزجاج السيارات التي تقف أمامها.

وقد قام باحث المبادرة بزيارة أحد عشر منزلًا بالقرية، تم اقتحامها وتكسير أجزاء منها والتعدي بالضرب على أصحابها والقبض على أعداد منهم، ورصد وجود أجهزة استقبال و تلفزيونات وثلاجات وغسالات وأجهزة حاسب آلى وتليفونات شخصية محطمة، كما رصد باحث المبادرة عددًا من السيارات مهشمة الزجاج تقف أمام هذه المنازل.

وحصل على شهادات فيديو حول حجم الانتهاكات التي تعرضوا لها. وهى منازل كل من عماد عبده لبيب، هاني أمين، وليد مسعود جاد الله، مختار يونان، عاطف ملاك عزيز، فخري أبادير عوض، رفعت عبده رياض، ميشيل نصحي عزيز، مينا جوزيف عدلي، ملاك حنين فريد، شنودة سعد وهبة.

واتفقت شهادات أهالي قرية دير جبل الطير أن الشرطة عاملتهم بطريقة مهينة، وقامت بسبهم بألفاظ بذيئة مع ترديد عبارات طائفية، منها: " يا بلد مفيهاش راجل، يا كفرة الحكومة هتعملكوا إيه، ده جازات إللى يتعدى على الحكومة".

كما قامت بالاعتداء بدنيًّا على أعداد من المتواجدين في هذه المنازل، من بينهم أطفال وسيدات. وهناك سيناريو واحد تكرر في أغلب الحالات، فبعد قيام الشرطة بتفتيش المنزل تقوم بالاعتداء بضرب الرجال بالعصي والحبال وآلات حادة، وبعد تفتيش المنزل يتم أخذ شخص أو عدة أشخاص من المنزل، خصوصًا الشباب الأقل من أربعين سنة، حيث يتم تقييد أيديهم من الخلف ويجبرون على السير إلى مكان للتجمع في الشارع، وحين يصل عدد المقبوض عليهم إلى نحو عشرين، يتم ربطهم معًا بحبل واحد كطابور ويقتادون جرًّا إلى مكان نقطة الشرطة، مع

تحطيم أثاث بأحد المنازل

ضربهم من أفراد الأمن في أثناء الجرِّ. وفي بعض الحالات قالت سيدات إنهن تعرضن للضرب عندما أبدين رفضهن لضرب أبنائهن. وأكد عدد من الذين قابلهم باحث المبادرة المصرية أن أفرادًا من الشرطة قاموا بسرقة مبالغ مالية وهواتف محمولة ومصوغات ذهبية.

وقال مختار يونان أحد الذين اقتحمت الشرطة منازلهم وقبضت على زوج ابنته:

" إحنا كنا نايمين، دخلت قوات الأمن عملت إللي يفوق ما تعمله داعش، كل حاجة أمامهم كسروها، فوق 40 ألف جنيه صناديق كوكا كولا، تليفونات سرقوها، سيارة جيب كانت بره البيت كسروها، أبواب ودواليب وأجهزة كسروها، خربوا البيت، حتى المدام لما ضربوا واد عنده عشر سنين قالت ده عيل، عمل إيه العسكري؟ ضربها بالقلم على وشها، وكل إللي على لسانهم هنعمل لكم إيه يا كفرة".

ووفقًا للشهادات التي حصلت عليها المبادرة المصرية، فإن ما بين 60 و80 شخصًا تم القبض عليهم، ونقلهم إلى نقطة شرطة القرية، وداخل النقطة تم التعدي عليهم بالصفع والضرب على وجوههم، وإجبارهم على ترديد كلمات تحمل إساءة لهم، مثل: " أنا مره، أنا خول، أنا علج".

وفي نحو الثالثة فجرًا تم ترحيل 32 شخصًا في سيارة نقل أفراد إلى قسم شرطة سمالوط، وداخل القسم طلب أفراد الشرطة من المقبوض عليهم الوقوف ورفع الأيدي إلى أعلى مع ضربهم بعصي على فترات مختلفة، وفي الساعات القليلة التالية تم استدعاء عدد من المقبوض عليهم من داخل حجز القسم، وإخلاء سبيلهم، بينما أحالت الشرطة 12 إلى نيابة سمالوط الجزئية، وهم:

ميشيل نصحي عزيز، أيمن نظمي عدلي، مينا رفعت عبده، عماد أمين بستاوروس، ملاك جرجس، ميلاد جرجس، وصبحي سامي، صبري مسعود، ملاك حنين فريد، خلف بنيامين، بيشوي مشمش عياد، شنودة سعد وهبة.

وقررت نيابة سمالوط حبسهم أربعة أيام على ذمة التحقيقات في وقائع التعدي على قوات الأمن وإصابة 3 من الشرطة وإحداث تلفيات بسيارتي شرطة وسيارة حماية مدنية، وفي اليوم التالي قامت النيابة بتجديد حبس المتهمين 15 يومًا. وفي جلسة الاستئناف على قرار الحبس يوم 23 من سبتمبر 2014 قررت محكمة جنح مستأنف سمالوط إخلاء سبيل المتهمين بضمان خمسة آلاف جنيه لكل متهم. وذلك على خلفية تحريات المباحث التي جاءت بأن التجمع كان بشكل عشوائي وبدون ترتيب.

وفي يوم 23 سبتمبر، التقى الأنبا أغاثون أسقف مغاغة والعدوة والقس يؤانس كمال، شقيق زوج السيدة المختفية والقس إسطفانوس شحاته كاهن بأبرشية سمالوط ونصحي عزيز شيخ البلد لقرية دير جبل الطير وإيهاب

رمزي المحامي وشقيقه المستشار أمير رمزي رئيس محكمة جنايات شبرا الخيمة، وكل من وزير الداخلية اللواء محمد إبراهيم واللواء خالد ثروت رئيس جهاز الأمن الوطني وعدد من قيادات الوزارة. ووفقًا لمكالمة تليفونية لباحث المبادرة المصرية مع القس إسطفانوس شحاته فإن اللقاء تناول عدة قضايا منها أحداث جبل الطير والكنائس المغلقة بقرارات الأمن في مدينة ومركز سمالوط وعددها سبع، وحالات الخطف وفرض الإتاوات على الأقباط في الصعيد.

وأضاف القس إسطفانوس في شهادته أن وزير الداخلية أكد أن السيدة المسيحية المختفية قد أشهرت إسلامها يوم 15 من سبتمبر، ووعد بعرضها على النيابة العامة وتنظيم لقاء لها مع أسرتها، وطالب بمذكرة من كل من شيخ الأزهر د. أحمد الطيب والبابا تواضروس الثاني بالموافقة على عودة جلسات النصح والإرشاد الديني كشرط لعقدها مرة أخرى بعد توقفها عام 2004. كما وعد اللواء خالد ثروت بدراسة حالات الكنائس المغلقة.

في يوم 26 من سبتمبر، ظهرت السيدة إيمان مرقص المختفية، وهي تتحدث من داخل منزلها، في مقطع فيديو أذاعته وكالة أنباء مسيحيي الشرق الأوسط، أكدت من خلاله إنه تم اختطافها من أمام منزل والدها تحت تهديد السلاح، وأنه قد جرت محاولة لتغيير ديانتها، إلا أنها ما زالت مسيحية وكذبت تصريح وزير الداخلية حول إشهار إسلامها. وقالت السيدة: " خدوني للأزهر، فرحت عيطت (بكيت) وجريت بره، فلبسوا واحدة نقاب، دخلت الأزهر وجابت الشهادة، وصورتني بالتحجيبة ولزقوا الصورة بتاعتي على الشهادة".

وأضافت: " وزير الداخلية إللي ظهر وقال لأهلي إنها أشهرت إسلامها ده كداب، مفيش حاجة من ده كله حصلت، ولا أسلمت ولا حاجة. ورئيس المركز بتاع سمالوط كان له علاقة بالمشوار ده، وكان عارف إللي خاطفيني، وقال لهم خليكوا بعيد ومتجوش واستنوا بره لحد ما الجو يهدأ".

وعقب ذلك، أصدرت مطرانية سمالوط بيانًا صحفيًّا ناشدت فيه بغلق ملف سيدة دير جبل الطير إعلاميًّا حفاظًا على ما أسمته السلام الاجتماعي، وأسرتها (السيدة إيمان)، وترك الأمر للقنوات الرسمية للدولة.

يمكنك مشاهدة فيديو «شهادات من جبل الطير سبتمبر 2014» على الرابط: http://youtu.be/6j4GDEqktJ8